



التعليم في رأى القابسي للأستاذ محمد يوسف موسى

رسالة دكتوراه للأستاذ أحمد فؤاد الأهواني ، نشر
مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ٣٢٦ صفحة القطع الكبير .

ظن كثير من الناس أن نشر رسالة في التربية لعالم من علماء الإسلام لا يقتضى من المجهود ما يستحق به صاحبه درجة دكتور في الآداب ، حتى نشر الأستاذ الأهواني هذه الرسالة وقرأها هؤلاء الذين كان رأيهم هذا الرأى ، فبين لهم أنهم كانوا على أنفسهم مسرفين ومن الحق أن قارىء هذه الرسالة القيمة يتبين له بوضوح مقدار ما عانى صاحبها الفاضل وما بذل من جهد ، وما كان له من آراء خاضة ونقد قوى لا يستحق النقد من آراء القابسي وغيره من المستشرقين وبعض الكتاب المعاصرين .

جعل الأستاذ رسالته من قسمين : التعليم في رأى القابسي وهو من علماء القرن الرابع ، ونص رسالة القابسي التى بين فيها أحوال المعلمين والمتعلمين .

بدأ أولاً بعرض حياة القابسي وبيان منهجه في رسالته ، وأن هذا المنهج كان منهج رجال الحديث الذين يمتدنون بالآثار ويكرهون الابتداع ، كما كان واقعياً فيما عرض من آراء في التعليم والتربية ، إلا أن هذا لم يمنعه من أن يكون مؤرخاً أيضاً ؛ فعنى فيما يبحث من مسائل — إذا اقتضى الأمر — بردها إلى أصولها التاريخية وتبصيح تطورها إلى أن تبلغ زمانه (٤٩) .

ولم يفت الأستاذ أن يلحظ أن القابسي وإن كان واقعياً في آرائه يعنى بتقرير الواقع ووصفه ، إلا أنه كان مثالياً فيما رأى من وجوب أن يكون تعليم الصبيان حياً وإلزامياً (٥٠ ، ٨٣) ، وبهذا سبق بقرون عديدة ما رآه الأمم في هذه الأيام .

ثم عرض بعد هذا إلى الكلام عن المكتاتيب في الإسلام ، وإلى البواث التى جعلت أصحاب الحديث هم المشرفين على التعليم ، وإلى الفرض من التعليم فى رأى القابسي ومناقشته . وهنا نراه يقوم لذلك بعرض تاريخى عن التعليم فى فارس والشام ومصر قبل الإسلام أخذ منه الفصل الرابع كله والفصل الخامس أيضاً .

ويطول بنا الحديث إذا أردنا تحليل الرسالة وبيان ما وعت من مسائل عديدة عولجت بمقدرة وشجاعة وعمق جدير بالإعجاب ، ولكنه يجب علينا مع هذا أن نشير إلى أن الأستاذ الفاضل كان موفقاً وقوياً فى نقده للقابسي فى منهجه وفى بعض آرائه التى قررها وفى نقده لبعض الذين كتبوا فى التربية عند المسلمين من المستشرقين وغيرهم من المسلمين المعاصرين ، لقد كان موفقاً فى ذلك كله إلى أبعد حدود التوفيق .

١ — نقد القابسي فى منهجه الذى يقوم على تلمس الآثار وآراء السابقين ، بأن هذا لا يصلح فى التربية لما يدعو إليه من حمود وحجر على الرأى ، وبخاصة والأمراً أمر يتصل أوثق اتصال بشئون الدنيا (ص ٣٣) .

٢ — نقده أيضاً فى أنه أهمل فى الآراء التى أنهى إليها نفسية الطفل ورعاية مراحل نموه ، كما أهمل العلوم الطبيعية والرياضة البدنية فلم يجعلها من العلوم الواجب أن يؤخذ بها الناشئة ، على أن الأستاذ كان منصفاً حين لاحظ أن هذه الآراء كانت أثر البيئة الاجتماعية فى عصر القابسي ، وأن العيب الأول كان عيب العصر كله فى الشرق والغرب (ص ١٥٧) .

٣ — وكذلك نقد بعض المستشرقين ومن أخذ إخذهم ؛ إذ لم يفرقوا فيما ذهبوا إليه من أغراض التربية عند المسلمين وآرائهم فيها بين المؤلفين الواقعيين كلقابسي والثالين كابن عبد البر والنزالي وإخوان الصفاء ، ومن ثم كان خطأ أولئك الكتاتيب — ومنهم الدكتور خليل طوطيح فى كتاب التربية عند العرب — فى اعتبارهم آراء هؤلاء المؤلفين آراء المسلمين جميعاً . ص ٢٠١ وما بعدها .

٣ — والأستاذ « كارادى فو » المستشرق الفرنسى المعروف ناله شواظ من نقد الأستاذ الأهواني بحق ؛ فقد زعم فى كتابه « مذهب الإسلام » أن الشرق الإسلامى ليس فيه الذوق

—▶▶◆◀◀—

(*) يقع في ١٥٣ صفحة من القطع الوسط ويطلب من مكتبة مصر

محمد يوسف موسى